﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: 121 - 122]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

ربْطُ الوسوسةِ والأكلِ من الشَّجرة بانكشاف العورةِ وقَبول التَّوبة

لمّا ذَكرَ اللّه تعالى في الآيات السّابقة تحذيرَهُ لآدمَ عليه السلام من غوايةِ إبليسَ له ولزوجِه، ثُمَّ ذَكَرَ ما وسوس به الشَّيطانُ له؛ حصلَ في نفس السّامع شوقٌ لمعرفة نتيجةِ هذه الوسوسة، فذكر في هذه الآياتِ وقوعَ آدمَ عليه السلام في أثرِ تلك الوسوسة وأكْلِه من الشَّجرة الَّتي حرَّمها اللّه عليه، وذكر تداركَهُ له بالتَّوبة والمغفرة؛ فكأنَّ آدمَ لمّا وسوسَ إليه الشَّيطان بقوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ﴾؟ قال له بلسان الحال أو القال: نعم، فقال: شجرةُ الخُلد هذه - مشيرًا إلى الَّتي نُهي عنها - ما بينك وبين المُلْكِ الدّائم إلّا أن تأكلَ منها، فأكلَ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَبَدَتْ﴾: ظهرتْ، مِن: بَدا الشَّيءُ يَبدُو بَدْوًا وبُدُوًّا، أي: ظهر[2]، وبادَيتُه: جاهَرتُهُ[3]، وأصل (البدوِّ) ظُهورُ الشَّيءِ، يُقال: بَدا الشَّيءُ يَبدُو؛ إذا ظَهَرَ، فهُوَ بادٍ، وسُمّي خِلافُ الحَضَرِ بَدْوًا مِنْ هَذا؛ لِأنَّهُم في بَرازٍ مِنَ الأرضِ، ولَيسُوا في قُرًى تَستُرُهُم أبنيَتُها[4]، والمعنى هُنا: ظهرت لهما عوراتهما[5].

2) ﴿وَطَفِقَا﴾: جعلا وظلّا وأقبلا، يُقال: طَفِقَ يفعَلُ كذا، أي:

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 358.
(2) الخليل، العين: (بدو).
(3) الصّاحب، المحيط في اللّغة: (بدو).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بدو).
(5) السَّمرقنديّ، تفسير السَّمرقنديّ: 2/ 415، والخازن، تفسير الخازن: 3/ 215.

جعل وظلَّ يفعَلُ[1]، وهو مثل ظلَّ وبات وما جَمَعَهُما[2]، وطفق من أفعال المقاربة كعلِقَ، وجَعَل وكادَ وكَرَب لا بُدَّ لهُنَّ من صاحِب يصْحَبهنَّ يوصَف بهنَّ، فيرتَفِع، ويطلُبن الفِعْلَ المُسْتَقبَل خاصَّةً[3]، فهي في معنى: جَعَلَ يَفعَلُ ذاكَ، وظَلَّ يَفعَلُهُ[4]، وأصل (طفق) يدلُّ على الإمساك أو العُلوق بجَوف الحيِّز كلزوم المكان والعُلوق به[5]، والمعنى هُنا: جَعَلا وأقبَلا[6].

3) ﴿يَخْصِفَانِ﴾: (خصف) أصلٌ واحِدٌ يَدُلُّ على اجتِماعِ شَيءٍ إلَى شَيْءٍ، وهُوَ مُطَّرِدٌ مُستقيمٌ، ويُقال: خصَفَ النَّعْل يَخصِفُها خَصْفًا: ظاهَر بعضَها على بعض، وأطبق عليها مثلها، وخرزها بالمِخصَفِ[7]، ومِنَ البابِ الاختِصافُ، وهُوَ أن يَأخُذَ العُريانُ على عَوْرَتِه ورَقًا عَريضًا، أوْ شَيْئًا نَحْوَ ذَلِكَ، يَسْتَتِرُ بِهِ[8]، والمعنى هنا: يَرقَعانِ، ويُلزِقانِ الوَرَقَ بَعضَه ببعضٍ[9].

4) ﴿فَغَوَىٰ﴾: أخطأ، (غوي) أصل يدلُّ على خِلافِ الرُّشدِ[10]، يُقال: غَوَى يَغْوِي غَيًّا، والغَيُّ: الضَّلال[11]، وغَيَّةٌ: ضدُّ الرِّشدةِ، لفلان غَيَّةٌ، أي: زِنْيَةٌ، وسَألَ النَّبيُّ ﷺ قومًا، فقالَ: بَنو مَن أنْتُم؟ فقالُوا: بَنو غَيّان، فقالَ: أنْتُم بَنو رِشْدان[12]، وقولهم: قد تغاوَوا عليه، قال أبو بكر: معناه: قد جهلوا عليه، وزَلُّوا، وتغاووا (تفاعلوا) مِن: غَوَى الرَّجلُ يغوي غيًّا، وغَواية؛ إذا جَهِلَ، وأساءَ[13]، والمعنى هُنا: أخطأ، ولم يصب بأكله ما أراد[14].

5) ﴿ٱجْتَبَٰهُ﴾: اصطَفاه واختارَه، والاجتِباءُ: الجَمعُ على طريقِ الاصطِفاءِ، يُقال: اجتبى الشَّيءَ، بمعنى: جباه لنفسِهِ، أي: جمعه[15]، وأصْلُ (جبي): يدلُّ على جَمعِ الشَّيءِ،

(1) الجوهريّ، الصّحاح: وابن فارس، مقاييس اللُّغة: (طفق).
(2) الخليل، العين: (طفق).
(3) الزّبيديّ، تاج العروس: (طفق).
(4) الصّاحب، المحيط في اللغة: (طفق).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (طفق).
(6) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 166، والقرطبيّ، تفسير القرطبيّ: 11/ 255.
(7) ابن سيده، المحكم: (خصف)، والزَّمخشريّ، أساس البلاغة: 1/ 250.
(8) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (خصف).
(9) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 166، والسَّجستانيّ، غريب القرآن، ص: 317.
(10) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (غوى).
(11) ابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث والأثر: 3/ 397.
(12) ابن دريد الأزديّ، جمهرة اللّغة: (غهي).
(13) الأنباريّ، الزّاهر في معاني كلمات النّاس: 2/ 252.
(14) السَّمرقنديّ، تفسير السّمرقنديّ: 2/ 415.
(15) الرّاغب، المُفردات، والسَّمين الحلبيّ، عمدة الحُفّاظ: (جبى).

يقال: جبيتُ الماءَ في الحوض جمعتُهُ، والحوضُ الجامع له: جابيةٌ، وجمعها جوابٍ[1]، والمعنى هُنا: اصطفاه بالنُّبوَّة وقرَّبه بالحمل على التوبة والتَّوفيق[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بيانُ أكلِ آدمَ وحواءَ من الشَّجرة التي نُهيا عن الأكل منها وحالهُما بعد الأكل منها

أَكَلَ آدَمُ وحَوّاءُ من الشَّجرةِ الَّتي نهاهما اللّهُ عنها، فظَهَرت لهما عوراتُهما، بعدما كانت مستورةً عن أعيُنِهما، وأخَذَ آدَمُ وحَوّاءُ يُلصِقانِ عليهما مِن ورَقِ أشجارِ الجنَّةِ؛ ليَستُرا به عوراتِهما، وخالَف آدَمُ وصيَّةَ رَبِّهِ، فأخطأ طَريقَ الصَّوابِ، ولم يحصُلْ على ما وعَدَهُ الشَّيطانُ، ثمَّ اصطَفَى اللّه تعالى آدَمَ بعدَ مَعصيتِه، فتابَ عليه منها، وهداه للتَّوبةِ، ووفَّقه لها، وثبَّته عليها[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الفاء في ﴿فَأَكَلَا﴾:

الإشارةُ إلى سببِ الأكل من الشَّجرة

الفاءُ في قولِه تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾؛ للتَّفريع على ما قبْلَها[4]، وهذا ممّا يدلُّ على أنَّ آدم قَبِلَ وسوستَهُ، فالفاء مُشعرة بالعلّية[5]، وهي تدلُّ على أنَّ سببَ أكلِهما وسوسةُ الشَّيطان المذكورة قبلَهُ في قوله: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، أي: فأكلا منها بسببِ تلك الوسوسة، فكانت وسوسةُ الشَّيطان سببًا للأكل من تلك الشَّجرة، وكان الأكلُ منها سببًا لبدوِّ سوءاتهما؛ والفاء تدلُّ أيضًا على التَّعليل، كقولهم: سها، فسجد، أي: لعلَّةِ سهوه، وسرقَ، فقُطِعت يدُهُ، أي: لعِلَّة سرقتِه، وما دلَّت عليه الفاءُ هُنا من أنَّ وسوسة الشَّيطان هي سببُ ما وقع من آدم وحواء، جاء مُبيَّنًا في مواضع من كتاب اللّه، كقوله تعالى:

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (جبى).
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 41.
(3) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 515، والشّنقيطيّ، أضواء البيان: 4/ 114.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 326.
(5) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 4/ 578.

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ﴾ [البقرة: 36]، فصرَّح بأنَّ الشَّيطان هو الَّذي أزلَّهما.

بلاغةُ الإيجازِ بالقِصَرِ:

التَّنبيهُ على أنَّه لا دافعَ لقضاءِ اللهِ ولا مانعَ منه

توجَدُ جُملةٌ مَحذوفةٌ دَلَّ عليها العرْضُ، أي: فعمِلَ آدمُ بوَسوسةِ الشَّيطانِ، فأكَلَ من الشَّجرةِ، وأكَلَتْ حوّاءُ معه[1]، وآدمُ عليه السلام مع كمالِ عقلِه وعلمِه بأنَّ اللّه تعالى مولاه وناصرُه ومربّيه، أعلمَهُ بأنَّ إبليسَ عدوُّه؛ حيثُ امتنعَ مِن السُّجودِ له، وعرَّض نفسَهُ للَّعْنةِ بسببِ عداوتِه، فكيف قَبِل في الواقعةِ الواحدةِ والمقصودِ الواحد قولَ إبليسَ، مع علمِه بكمالِ عداوتِه له، وأعرضَ عن قولِ اللّه تعالى[2].

نُكتةُ اقتصارِ التَّسويلِ على آدمَ، ونسبة الأكل إليهما:

بيانُ أنَّ الزَّوجة تبعٌ لزوجِها في الفعل

اقتصارُ الشَّيطانِ على التَّسويل لآدمَ، وهو يريدُ أن يأكلَ آدم وحوّاء، لعلمِه بأنَّ اقتداءَ المرأة بزوجها مركوزٌ في الجِبلَّة[3]، والمرأة تبعٌ للرَّجل، وعليه فحينما عصى آدمُ ربَّه، كانت زوجه معه، وكان العصيانُ منسحبًا عليها في أحداث القصَّة، ويؤيِّد ذلك ورودُ أسلوب الخطاب بصيغة المثنّى في مواقع من القرآن، وهو خطابٌ لهما معًا، لكنَّه في الآية السّابقة، خصَّ الذِّكر دون الأنثى، وخاطبه بقوله: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾، فلمّا تعرَّض لفعل الأكل؛ ذكرهما معًا، فقال: ﴿فَأَكَلَا مِنۡهَا﴾، وهو ملمحٌ يؤيِّده السّياق اللَّفظيُّ، ويؤكِّده ما سبق من تعليلٍ.

معنى الفاء في ﴿فَبَدَتۡ﴾:

بيانُ ترتُّبِ بدوِّ سوءاتِهما على أكلهما من تلك الشَّجرةِ

قوله تعالى: ﴿فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾، أي: بدت لهما حالُ أكلِهما بدليل العطفِ بالفاء، فأزيلَ عنهما لباسهُما السّاتر لهما، فظهرتْ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 16/ 326.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 107.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 16/ 327.

عورتُهما، فاستوحشا منظرهما[1]، فدلَّت الآياتُ المذكورة على أنَّ آدم وحواء كانا في سترٍ من اللّه، يستر به سوءاتِهما، وأنَّهما لمّا أكلا من الشَّجرة الَّتي نهاهما ربُّهما عنها؛ انكشف ذلك السَّتر؛ بسبب تلك الزَّلة، فبدت سوءاتُهما، أي: عوراتهما[2].

سرُّ التَّقييد بالجارِّ والمجرور ﴿لَهُمَا﴾:

العـورةُ كانت محجوبةً عنهما، فظهرتْ لهما بدافعٍ داخليٍّ من إحساسهما

قوله تعالى: ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾، أي: عريا مِنَ الثِّياب الَّتي كانت عليهما، حتَّى بدتْ فروجُهما، وظهرتْ عوراتُهما[3]، ولم يقل: فبدت سوءاتُهما، وإنَّما قال: فبدتْ لهما سوءاتُهما، ممّا يُؤذن أنَّها كانت محجوبةً عنهما، فظهرتْ لهما بدافعٍ داخليٍّ من إحساسهما، وقد جاء في موضع آخر عن إبليسَ: ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا﴾ [الأعراف:20]، وجاء: ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا﴾ [الأعراف:27].

سرُّ إيثارِ التَّعبير بلفظ ﴿سَوْءَاتُهُمَا﴾:

المعاصي سببٌ في انكشاف عورةِ الفرد وضياعِ سترِ المجتمع

كنَّى النَّظمُ الكريم عن الفرجِ بالسَّوءة؛ لأنَّهُ يسوء الإنسانَ انكشافُهُ، أي: يغمُّه، ويحزنه[4]، فالظّاهر أنَّها السَّوءات الحسيَّة تبدَّت لهما، وكانت عنهما مستورةً، وأنَّها مواضعُ العِفَّة في جسديهما، يرجِّح ذلك أنَّهما أخذا يسترانها بورق الجنَّة[5].

نُكتةُ التَّعبيرِ بالفعل ﴿وَطَفِقَا﴾:

بيانُ سرعةِ الشُّروع في الفعلِ والاستمرارِ فيه

(طَفِقَ) مثل: جَعَلَ وأخذ وأنشأ، وحكمُها حكمُ كاد، في وقوعِ الخبر فعلًا مُضارعًا، وبينها وبينه مسافةٌ قصيرة، وهي للشُّروع في أوَّل الأمر[6]، وطفق يفعل كذا؛ إذا شرع في فعلٍ، واستمرَّ فيه،

(1) ملا حويش، تفسير القرآن العظيم: 1/ 223.
(2) الشّنقيطيّ، أضواء البيان: 4/ 113.
(3) الخازن، تفسير الخازن: 3/ 215.
(4) البروسويّ، روح البيان: 5/ 437.
(5) شحاته، تفسير القرآن الكريم: 16/ 3209، والجزائري، أيسر التَّفاسير: 3/ 385.
(6) الزَّمخشري، الكشّاف: 3/ 94.

والسّياق في الآية يُشعِر باستمرار الحدثين زمنًا أطول كثيرًا من مُجرَّد الشُّروع[1]، فمعناه: وجعلا يفعلان ذلك دائمًا[2].

سِرُّ المجازِ في التَّعبير عن وضعهما لورق الشَّجر بالخصف:

بيانُ التَّمكُّن في وضع ورق الشَّجر والتَّستُّر

المجازُ واقعٌ في قوله تعالى: ﴿يَخْصِفَانِ﴾، أي: ظاهَرَ بَعْضَها على بَعْضٍ وخَرَزَها، وهيَ نَعْلٌ خَصيفٌ، وكلُّ ما طُورِقَ بعضُه على بَعْضٍ؛ فقَدْ خُصِفَ[3]، فالخصفُ حقيقتُهُ تقويةُ الطَّبقة من النَّعل بطبقة أخرى لتشتدَّ، ويُستعملُ مجازًا مُرسلًا في مُطلق التَّقوية للخِرْقة والثَّوب، ومنه ثوبٌ خصيف، أي: مخصوفٌ؛ إذا كان غليظَ النَّسجِ، لا يشفُّ عمّا تحتَهُ، فمعنى ﴿يَخْصِفَانِ﴾ يضعان على عوراتهما الورقَ، بعضُهُ على بعضٍ، كفعل الخاصف، وضعًا ملزقًا مُتَمكِّنًا، وهذا هو الظّاهر هُنا؛ إذ لم يقل: يخصفان ورقَ الجنَّة، وفي هذا إظهارُ أنَّ الأصلَ في الإنسان السَّترُ بالملابس؛ لذا حرص آدمُ وحوّاء على سترِ جسديهما بورق الجنَّة، بأن أسرعا بالتَّستُّر به[4].

فائدةُ التَّقييد بالجارِّ والمجرور:

بيانُ طريقةِ الخصف ومقداره مفيدةٌ في تصوير المشهد

﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾، يجوز كونُها اسمًا بمعنى بعضٍ، في موضع مفعولِ ﴿يَخْصِفَانِ﴾، أي: يخصفان بعضَ ورقِ الجنَّة، ويجوز كونُها بيانيَّةً لمفعول محذوف يقتضيه: ﴿يَخْصِفَانِ﴾، والتَّقدير: (يخصفان خصفًا من ورق الجَنَّة)[5].

دلالةُ الالتفاتِ إلى الحديث عن آدمَ وحدَهُ:

تحمُّلُ آدمَ أثرَ المُخالفةِ أكثرَ من زوجِه لكونه قدوةً لها

بعد أن كان الحديثُ بصيغة المُثَنَّى في قوله تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾،

(1) الزَّبيديّ، تاج العروس، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (طفق).
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 67.
(3) ابن منظور، لسان العرب: (خصف).
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتّنوير: 8/ 64، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 22/ 108.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتّنوير: 8/ 65، والدّرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه: 6/ 257.

جاء الكلام هُنا بقوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ﴾ بصيغة المُفرد، وبلاغة هذا الالتفات هُنا: أنَّ التَّكليفَ والخطاب بالنَّهي، كان موجَّهًا لآدم ﷺ، فلمّا وقعا في المعصية؛ صار وبالُ الإثم عليه أكثر؛ لذا وُصِفَ بالشَّقاء؛ لأنَّه هو أكثرُ مَن تحمَّل عواقبَ هذه المعصية، وفي هذا المعنى قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التّحريم: 6][1]، فذِكْرُ آدمَ هنا لا يمنع أنَّ حوّاء كانت تستمع معه، وأنَّ الإغراءَ كان لهما: لأحدهما بالخطاب، وللآخرِ بالاستماع مع المُشاركة في الخِطاب[2].

فائدةُ التَّعبيرِ بالرَّبِّ وإضافته إلى ضمير الغائب:

عتابُ آدمَ بذكر سوابق الإحسان وعوارف الامتنان

قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾، أي: المُحسن إليه بما لم ينله أحدٌ من بنيه، من تصويره له بيده، وإسجادِ ملائكته له، ومعاداةِ مَن عاداه[3]، ومع هذا وقع في المُخالفة، فأكلَ مِنَ الشَّجرة الَّتي نهاه ربُّه عنها، وفي هذا من العتاب واللَّوم ما لا يخفى.

دلالةُ الفاءِ ومعنى ﴿فَغَوَىٰ﴾:

إثباتُ العصيان لآدمَ؛ لأنَّـهُ لم يـكـن يـومـئـذٍ نـبـيًّا، وكـان في معصيَته متأوِّلًا

الغوايةُ: ضدُّ الرُّشد، وهي التعدّي إلى ما لم يكنْ له فعلُهُ، ﴿فَغَوَىٰ﴾، أي: أخطأ، وضلَّ، ولم ينل مراده ممّا أكل، الَّذي هو الخلود، أو عن المأمورِ به، وهو التَّباعد عن الشَّجرة[4]، وإثباتُ العصيان لآدمَ دليلٌ على أنَّه لم يكن يومئذٍ نبيًّا؛ ولأنَّه كان في عالم غير عالم التَّكليف، وكانت الغواية كذلك، فالعصيانُ والغواية يومئذٍ: الخروجُ عن الامتثال في التَّربية، كعصيان بعض العائلةِ أمرَ كبيرها، وإنَّما كان شنيعًا؛ لأنَّه عصيانُ أمر الله؛ وليس في هذه الآية مستندٌ لتجويز المعصية على الأنبياءِ، ولا لمنعها؛ لأنَّ ذلك العالَمَ، لم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 16/ 327.
(2) محمَّد أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 9/ 4800.
(3) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 359.
(4) البروسوي، روح البيان: 5/ 437.

يكن عالمَ تكليفٍ[1]، وقد ذكر المفسِّرون أنَّ آدم في عصيانه لربِّهِ، كان متأوِّلًا؛ لأنَّه اعتقد أنَّ النَّهي عن شجرة مُعيَّنة لا عن النَّوع كلِّه، وقالوا: تسميةُ ذلك عصيانًا؛ لعلوِّ منصبه، وقد قيل: (حسناتُ الأبرارِ سيِّئات المُقرَّبين)، كما قالوا: إنَّ الأسباب الَّتي حملَت آدمَ على الأكلِ من الشَّجرة، أنَّ إبليس أقسمَ له باللّٰه أنَّه له ناصحٌ، فصدَّقَهُ آدمُ عليه السلام، لاعتقاده أنَّه لا يمكن لأحد أن يقسمَ باللّٰه كاذبًا، والمؤمن غِرٌّ كريمٌ، والفاجر خبٌّ لئيم[2].

دلالةُ العطفِ بـ ﴿ثُمَّ﴾ في الآية الكريمة:

عـــاشَ آدمُ مرحلتين مرحلةَ اصـطـفـاءٍ، ثـمَّ مرحلةَ اجتباءٍ

العطف جاء هُنا بـ ﴿ثُمَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾، الدّالَّة على التَّراخي، أي: اصطفاه نبيًّا بعد ما وقع منه ذلك[3]، فبعد مُدَّةٍ مِن الزَّمن، تلقّى فيها آدمُ كلماتٍ من ربِّه، كما جاء في الآية في سورة البقرةِ، عند قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ﴾ [البقرة:37] فأتمَّها، فتاب عليه، واصطفاه للنُّبوَّة والرِّسالة وهداه.

فائدةُ الاعتراضِ بجملة التَّراخي:

التَّعجيلُ ببَيانِ أيلولةِ آدمَ إلى الصَّلاح، وفوزه بالتَّوبة والفلاح

قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾ جُملةٌ مُعترضةٌ بين جُملةِ ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ﴾، وجُملةِ ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢا﴾؛ لأنَّ الاجتباءَ والتَّوبةَ على آدمَ، كانا بعدَ أن عُوقِبَ وزوجُه بالخُروجِ من الجنَّةِ، كما في سُورةِ البقرةِ، وهو المُناسِبُ لترتُّبِ الإخراجِ مِنَ الجنَّةِ على المعصيةِ دونَ أن يترتَّبَ على التَّوبةِ، وفائدةُ هذا الاعتراضِ: التَّعجيلُ ببَيانِ مآلِ آدمَ إلى صَلاحٍ[4].

سِرُّ التَّعبيرِ بالفعل ﴿ٱجۡتَبَٰهُ﴾:

الاجتِباءُ: أصلُ الكلمةِ الجمعُ، ويقولون: اجتبتِ الفرسُ نفسَها؛

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 16/ 327.
(2) الطَّنطاوي، التفسير الوسيط: 9/ 162.
(3) ملا حويش، تفسير القرآن العظيم: 2/ 224.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 327.

إذا اجتمعت نفسُها راجعةً بعد النفار، و﴿ٱجۡتَبَٰهُ﴾، أي: قبلَهُ بعد التوبة، وقرَّبه إليه، من جبى إليَّ كذا، فاجتبيته، ويراد بها الاصطِفاءُ، وبهذا المعنى ورد في القرآن الكريم، كقَولِه تَعالَى: ﴿وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٨٧﴾ [الأنعام:87]، وقوله تعالى: ﴿ٱجۡتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١﴾ [النَّحل:121][1]، فجاء فعل (اجْتَبَى) في القرآن مُستعملًا بمعنى الاصطفاء للنُّبوَّة والرِّسالة، إذا كان اجتباء للأفراد، وجاء مرَّةً واحدة بمعنى اصطفاء أمَّةِ محمَّد بمجموعها، لحمل رسالته من بعده: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ [الحجّ:78].

الـدَّلالـةُ على الاصطفاء بسرِّ النُّبوَّةِ العظيم تَفَضُّلًا من الرَّب الكريم

فائدةُ تكرارِ لفظ ﴿رَبُّهُۥ﴾ في الاجتباء:

في التَّعرُّضِ لعُنوانِ الرُّبوبيَّةِ مع الإضافةِ إلى ضَميرِه ﷺ - في قولِه تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ - مَزيدُ تَشريفٍ له ﷺ[2]، فالله ﷻ هو الَّذي يُربّيه، ويتعاهده؛ إذا وقع في الزَّلل، وفي ذلك من إظهار الرِّفق بآدمَ ﷺ ما فيه، حيث لم ينزله عن رتبة الاصطفاء؛ لأنَّ رحمتَهُ واسعةٌ، وحلمه عظيم، وعفوه شامل[3].

مَـزيـدُ تَشريـفِ آدمَ بتعاهده عند وقوع الزَّلل واصطفائه بعده

دلالةُ إفراد آدم ﷺ بالاجتباء:

أفردَ النَّظمُ الكريم آدم ﷺ بالاجتباءِ وقَبولِ التَّوبةِ؛ لأنَّ حوّاءَ تابِعةٌ له في ذلك[4]، وقد اجتَباهُ رَبُّهُ بجعله من المصطفين الأخيار، واعتباره مع النَّبيين الأبرار، بعد ما ألهمه سبحانه الإنابة البارَّة، والرُّجوع إليه بصفة سارَّة، فاعترف آنئذٍ بما بدر منه من ذنبٍ، وندم بخشية ورِقَّة على فِعلته الَّتي فعل، ورجع إلى ربِّه تائبًا منيبًا في انكسار ووقار، وهو يقول مع زوجه: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ

كونُه هو المقصود بالخطاب أصالةً مـفـيـدٌ في بيان السّياق

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 328.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 47.
(3) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 359.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 47.

لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ [الأعراف: 23]، فتابَ عَليه سبحانه، وقبل أوبته، وكانت عاقبته آيلةً إلى خيرِ منتهى وأجمل مصير[1].

دلالةُ الفاءِ ومجيء الفعل ﴿فَتَابَ﴾ بعدها:

عبَّر النَّظمُ الكريم بالفاء الدّالَّة على الفور في قوله تعالى: ﴿فَتَابَ﴾، أي: إنَّه تاب عليه حالًا[2]، إشارةً إلى أنَّ اللّه سُبحانه قد تجاوز لآدمَ عن فعلته تلك؛ إذ كانت أوَّلَ زلَّة له، وهو يضع أوَّلَ قدمٍ له على طريق الإنسانيَّة[3].

الـدَّلالـةُ على قَبولِ توبته حالَ صدورها منه، وتطهيره بعد وقوع المُخالفة

سِرُّ الجمع بين التَّوبة والهداية:

الهدايةُ: الإرشادُ إلى النَّفع، والمُرادُ بها إذا ذُكِرت مع الاجتباء في القرآن: النُّبوَّة[4]، فأيُّ أثرٍ يبقى للعصيان والغيِّ بعد توبة اللّه عليه، واصطفائه إيّاه، وهدايته له، ولا شكَّ أنَّ بعض الزَّلّات ينال صاحبُها بالتَّوبة منها درجةً أعلى من درجته قبل ارتكاب تلك الزَّلَّة[5].

بـيـانُ رفـعـة درجةِ آدم عليه السلام وكرامته عند ربِّه

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

البدوُّ والبروز والظُّهور:

ذكر ابنُ فارس أنَّ أصل مادَّة (ظهر)، تدلُّ على القوَّة في البروز[6]، وذكر ابن منظورٍ فارقًا في البروز في هذه العبارة بقوله: وكل ما ظهر بعد خفاءٍ؛ فقد برز[7]، وبذلك نجد أنَّ الموادَّ الثَّلاث تشتركُ في معنًى عامٍّ، هو الوضوح والانكشاف، وتتميَّز مادَّة (برز) بدلالتها على الظُّهور بعد خفاء، بينما تتميَّز مادَّة (ظهر) بملمح القوَّة في البروز[8]، أمّا البدوُّ؛ فهو الظُّهور البَيِّنُ[9]، وأيضًا فإنَّ

البـدوُّ مُختصٌّ بملمح البيان، والبروز مُختصٌّ بالشِّدَّة، ويكون الظُّهور بمعنى القوَّة

(1) نعمة الله علوان، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية: 1/ 523.
(2) ملا حويش، تفسير القرآن العظيم: 2/ 224.
(3) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 8/ 836.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتّنوير: 16/ 328.
(5) الشّنقيطيّ، أضواء البيان: 4/ 119.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ظهر).
(7) ابن منظور، لسان العرب: (برز).
(8) محمد داود، الفروق الدلالية، ص: 107.
(9) الراغب، المفردات: (بدى).

الظُّهُور يكون بِقصد وبِغير قصد، يُقال: استتر فلانٌ، ثمَّ ظهر، ويدلُّ هَذا على قصد للظُّهور، ويُقال: ظهر أمرُ فلانٍ، إن لم يقْصد لذَلِك، والبدوُّ ما يكون بِغَيْر قصدٍ، تَقولُ: بدا البرقُ، وبدا الصُّبْح، وبدت الشَّمس، وبدا لي في الشَّيْء؛ لِأنَّك لم تقصد للبدوِّ، وقيل: في هَذا بدوٌّ، وفي الأوَّل بَدْءٌ، وبين المَعنيَين فرقٌ والأصْل واحِد[1].

ويُخلَص ممّا سبق إلى أنَّ الألفاظ (بدا - برز - ظهر) متقاربةٌ دلاليًّا؛ حيث تشترك جميعها في ملمحٍ عامٍّ هو الوضوح والانكشاف، ويختصُّ البدوُّ بملمح البيان، بينما يختصُّ البروز بملمح الشِّدَّة والبأس، ويختصُّ الظُّهور بإطلاقه على معنى آخر، هو الغلبة والقوَّة[2].

الخَصْف والرَّقع والخرز:

الرَّقع في الثَّوب، والخرز الخياطة في الجلد، والخصف أعمُّ منهما

الأصل الواحد في مادَّة (خصف): هو جعْلُ قطعةٍ مكان ما انخرق، وانتقص من الشَّيء، وضمُّها إليه، ووصلُها به وإصلاحه، وهذا المعنى قريبٌ من مفهوم الرَّقع والخرز، إلَّا أنَّ الرَّقع في الثِّياب فقط، والخرز هو الخياطة في الجلد، والخصف أعمُّ، وأمّا اللَّزق واللَّصق؛ فبمعنى الوصل فقط مطلقًا[3].

الضَّلال والغواية:

الضَّلالُ فقدانُ الطَّريق الموصل، والغواية عدولٌ متقصِّد عن الطَّريق القويم

الضَّلال: فقدانُ ما يُوصِلُ إلى المطلوب، وقيل: هو سلوكُ طريق لا يُوصل إلى المطلوب[4]، وكلُّ عدُول عَن النَّهج عمدًا أو سَهوًا، قَليلًا كانَ أو كثيرًا[5]، فهُوَ ضلال، وفي باب الحقِّ والباطل يكون الضَّلال عدولًا عن الطَّريق المستقيم[6]، وقد يكون عن قصد أو عن غير قَصدٍ: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ﴾ [الجاثية:23]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ

(1) الفروق اللغوية للعسكري، ص: 287.
(2) محمد داود، الفروق الدلالية، ص: 109.
(3) التحقيق في كلمات القرآن الكريم: 3/ 70.
(4) الجرجانيّ: التَّعريفات، ص: 138.
(5) الكفويُّ، الكليات، ص: 567.
(6) المناويُّ: التوقيف، ص: 223.

﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾ [الكهف:104]، أمّا الغواية؛ فهي جهلٌ من اعتقادٍ فاسد[1]، فلا يكون للغاوي مَقصِدٌ إلى الطَّريق المُستَقيم[2]، والغواية إمعانٌ في الضَّلال، كما أنَّ الضَّلال عامٌّ[3]يكون للعاقل وغيره، فيُقال: ضلَّت الدّابةُ، ولا يُقال: غوت الدّابَّةُ، أمّا الغوايةُ؛ فهي للعاقل المُكلَّف، والضَّلال نقيضُ الهُدى، قال الله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ﴾ [فاطر:8]، وقال: ﴿وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ٧٩﴾ [طه:79]، والغِوايَةُ نقيض الرُّشْدِ، قال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ﴾ [الأعراف:146]، وقال: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة: 256].

وقد اجتمعَ ذِكرُ الضَّلال والغواية في قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢﴾ [النَّجم:2]، وفيه الشَّهادةُ للرَّسول ﷺ، بأنَّه راشدٌ تابع للحقِّ، لَيْسَ بضالٍّ، والغاوي هو العالم بالحقِّ، العادِلُ عنه قصدًا إلى غيره، فنزَّهَ اللّهُ رسولَهُ وشرْعَهُ عن مشابهة أهلِ الضَّلال كالنَّصارى، وطرائق غواية اليهود، وهي عِلْمُ الشَّيء وكِتمانُهُ، والعملُ بخلافه، بل هو ﷺ وما بعثه الله به من الشَّرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسَّدادِ، فأثنى عليه بكمال العِلْم والعمل[4]، فالضَّلال أعمُّ، وهو ألّا يَجِدَ السّالك إلى مقصده طريقًا أصلًا، والغِواية ألّا يكون له إلى المَقصَدِ طريقٌ مستقيم[5].

(1) الرّاغب الأصفهانيُّ، المفردات: (غوى).
(2) الكفويُّ، الكليات، ص: 576.
(3) النّيسابوريُّ، غرائب القرآن: 6/ 199.
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 411.
(5) النّيسابوريُّ، غرائب القرآن: 6/ 199، والتّهانويّ، كشاف اصطلاحات الفنون: 2/ 1119.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»